أبو دجانة

للأستاذ محمد طلبه رزق

يطيب للمسلمين في ذكرى مولد الرسول أن يذكروا روائع أحداث الجهاد الأولى التي صاحبت الدعوة الإسلام والمقرونة بآيات من العبقرية أو التضحية أو البطولة. ولعل حياة أبي دجانة البطل الفدائي من أخلد هذه الروائع وأبعدها أثراً في القلوب والنفوس

وعلى أن تاريخ الجهاد الإسلامي ملىء بالبطولات الفذة والتضحيات العظمى والمواقف النبيلة. فإني أشهد أن حياة أبي دجانة كانت من أعظم ما استهواني وملأ نفسي وقلبي روعة وتمجيدا لهذا البطل الذي أعتقد جازما - إن حقا أو غيره — أن التاريخ قد ظلمه وهضمه إلى درجة تكاد تكون كالنسيان، وهو الرجل الذي حفظ للمسلمين جميعاً دينهم، والذي لولاه ولولا فدائيته وبطولته لما تمت رسالة الإسلام. ولو قائل يقول: وكيف لأبي دجانة هذا أن يحفظ ذلك الدين العظيم ويكون سببا في إتمام رسالته؟ أكان أبو دجانة هذا شريكا للرسول في تلقي تعاليم الدين؟ أكان ينزل عليه الوحي كما ينزل على الرسول؟ أكان الأمين الأوحد والنائب المفرد للرسول يؤثره بأسرار الدعوة ويأمنه عليها؟

والواقع أن أبا دجانة كان مسلما من عامة المسلمين تفتح قلبه للدعوة الإسلامية وأشربت نفسه حبها، وتعلقت روحه بأهدابها. كان أنصاريا من أهل يثرب لبى دعوة الحق ودخل في الدين بعد يقين صادق وإيمان عميق، وأحب الرسول حبا لا يوصف لفرط صدقه وشدته وإخلاصه. وهو قبل ذلك وبعد ذلك فارس بارع، خفيف الحركة، سريع الوثبة، يجيد المبارزة واللعب بالسيف والخنجر كما يجيد فنون الحرب الأخرى التي عرفها العرب آنذاك. وحين قرر النبي صلوات الله عليه العمل على نشر الدعوة بقوة السيف ومقابلة عدوان جاحديها بمثله، كان أبو دجانة من المسلمين الذين حفوا لتلبية دعوة الجهاد وتفرغوا سراعا إلى ميادينه، لا تقعدهم امرأة ولا ولد، ولا تلهيهم تجارة أو بيع، ولا يعوقهم تردد أو خور، ولا يخذلهم ضعف أو وهن

وتسجل هذه الغزوات وتلك الحروب ألواناً من المجد والبطولة والفدائية للمجاهدين المؤمنين وإذا أبو دجانة في طليعة هؤلاء المجاهدين المؤمنين الأحرار، يمتاز ببسالة نادرة وشجاعة فذة. ولم الحديث ولم الوصف وهذه وقعة أحد الخالدة تنطق شاهدة بما لهذا البطل الفدائي العظيم من صفات، هذه الواقعة التي أعدت لها قريش ما استطاعت من قوة وبأس وحشدت لها ثلاثة آلاف من المشركين، انتأر لقتلاها في غزوة بدر، في حين كانت قوات المسلمين ألفاً من الجنود تخذل منهم من المنافقين والضعفاء ما يقرب من ثلثهم

وينظم النبي جنوده ويجعل منهم رماة يحمون مؤخرة الجيش ويحتل مكانهم على الجبل ويقول لهم: (قوموا على مصافكم هذه، احموا الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا نخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا قد هزمنا القوم وظهرنا عليهم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم). ثم يلتفت القائد الأعظم والزعيم المقدس إلى جنوده الآخرين يبث فيهم روح الإقدام والتضحية، ويزودهم بنصائحه ويملي عليهم توجيهاته وإرشاداته

ولا يدع سبيلا إلى حفزهم وتشجيعهم إلا سلكها ؛ فهذا هو صلى الله عليه وسلم يرفع سيفه بيمينه ويعرضه على جنوده قائلا : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ ويتهافت المؤمنون عليه ، كل يبغى هذا الشرف الرفيع ، حتى يثبرى له أبو دجانة متحمساً مندفعاً فيقول عمر : هذا أبو دجانة الشجاع يقوم إليه ، فيقول أبو دجانة: نعم أنا أقوم إليه ، ما حقه يا رسول الله ؟ . ويجيبه النبي العظيم : أن تضرب به حتى ينحني . فتزداد حماسة البطل ويردد أنا آخذه يا رسول الله بحقه . ويسر النبي لهذه الحماسة ولا يملك إلا أن يقول له السيف . ويتناول الفارس الشجاع السيف فى فرح وثورة ويهزه فى يده مردداً :

أنا الذى عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر فى الكبول أضرب بسيف الله والرسول

ويخرج من جيبه عصابة حمراء يعصب بها رأسه ويختال بين الصفوف كأنما هو يرقص ، ويعجب المسلمون لنشوة الفارس وفرحته بسيف الرسول

وتبدأ المعركة بمبارزات فردية يكون صرعاها جميعاً من قريش الباغية ، ثم ما يلبث الجيشان أن يلتحما ، وما تلبث قوات المسلمين أن تتقدم منتصرة متخنة فى جيوش العدو وأبو دجانة فى فرسان المؤمنين يتفنى بشعره ، ويضرب بسيف الرسول يمنة ويسرة ما تبلو له ضربة ، ولا تخيب له طعنة ، صرعاه يتجندلون ويخرون عن يمين وشمال . وتتراجع قوات قريش مروعة منهزمة متخاذلة وترى نساء المشركين تراجع رجالهن وهزيمتهم فيصحن فيهم محمسات حاثرات تزعمهن هند بنت عتبة الموتورة فى أبيها أحد قتلى بدر :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق
إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفـــارق
فراق غير وامق

وأبو دجانة يصول ويجول فى الصفوف يصرع المشركين ويروى بدمهم الأرض ، وتعترضه هند هاتفة بحرضة المشركين ويهما بنى عبد الدار ويهما حماة الأدبار ضرباً بكل بتار

ولا يكاد يميزها إن كانت رجلا أو امرأة فيهم بقتلها ، فتصيح مذعورة . ويلاه . وما إن يتميزها أبو دجانة حتى ينحيها عن سبيله قائلا : أمى أنتى اذهبى تبحك الله . ويقول له الزبير : بل اقتلها يا أبا دجانة ، فيرد أبو دجانة الفارس الباسل أو ترد رجولته الكريمة : إنى أكرم سيف رسول الله أن أضرب به امرأة

وتسير المعركة قوية ملتهبة نحو غايتها ، وتكاد تنجلى عن نصر المؤمنين مبين ، وفوز لهم محقق ، ولا يكاد يشك ذو عقل أو بصر فى أن الهزيمة الساحقة اللاحقة ستحل على جيوش الملحدين ؛ وتؤيد جميع الشواهد والقرائن هذا النصر وتقرره ، ويتضخم هذا الشعور بالنصر فى قلوب المسلمين ويؤمنون به ، ويتأذى المشركون وتمتلئ قلوبهم بالحسرات واللوعات بعد أن رأوا معركتهم التى تأهبوا لها واتخذوا لها أعظم العدة ووطدوا عزائمهم على أن يجعلوها انتقاما ومحوا للعار الذى لحقهم فى بدر ، تدور عليهم وتنقلب ضدهم

ولكن . ولكن — وامن الله لكن هذه — هاهى فصيلة الرماة المسلمين التى ناط بها قائد المسلمين وزعيمهم الرسول حماية المؤخرة يرى أفرادها انتصار إخوانهم وتقهقر المشركين أمامهم تاركين متاعهم وعددهم غنائم وأسلابا . وهاهى الغنائم والأسلاب تلمع فى أعين هؤلاء الرماة فتسيل لعابهم وتجعلهم يفكرون فيها وفى موقفهم هذا الثابت ، وفى تلك الأوامر الحاسمة الصارمة الموجهة إليهم بضرورة ثباتهم مهما رأوا من انتصار جيشهم وتقهقر عدوهم ولكن أية نفوس تلك التى ترى هذه الغنائم والأسلاب الكثيرة الوفيرة وترى هذا التقهقر ، وترى أكثر من هذا وذاك إغراء الشيطان ، وتراءى الحياة يساق هينا لينا ليس بينهم وبينه إلا أن يتحركوا وينقضوا لتحفظ لهم حقوقهم وأنصبتهم من أن يغتالها رفاقهم المنتصرون أو أن يبخسوهم بعضها . وما هى إلا أن تضعف نفوسهم وينتصر الشيطان وتبرق الدنيا فى عينى أحدهم فيصيح من أعماقه: الغنيمة .. وتهز صيحته بقية الرماة .. وإذا هؤلاء الرماة حماة المؤخرة ، يخالفون عن أمر قيادتهم ، لا رغبة فى العصيان والمخالفة ، وإنما إغفالا خاطئا بأن النصر قد صار فى جانبهم

ويندفعون جاعلين همهم جمع الغنائم والأسلاب من متروكات جيش المشركين المنهزم

وفى المشركين يقظة وحسرة ، وفى قلوبهم نار تأجج حقدا وحفاظا لأهليهم وعشيرتهم الذين ذهبوا فى بدر ، وإذا هذه اليقظة وذلك الحقد يبصرانهم بالثغرة الجديدة التى انفتحت فى مؤخرة المسلمين المنتصرين ، وإذا فلولهم تتجمع وتحتشد وتتجه نحو الثغرة !

ويريد الله أن يمتحن المسلمين ويبلوهم ، وأن يجزيهم جزاء مخالفتهم ، ويريهم عاقبة عصيانهم لأوامر قائدهم ورسولهم ، ويبصرهم بخطئهم وطمعهم فى عرض الدنيا الذى رجوه ، وهم المؤمنون الذين خرجوا من ديارهم وأهليهم قد باعوا الله ورسوله أن ينصروا دينه وباعوه أرواحهم بأن لهم الجنة وليس أسلاب الحرب وغنائمها .. يريد الله ذلك ، ويشاء الله إلا أن تكون إرادته تلك رائعة قاسية بعيدة الأثر فى نفوس المسلمين جميعا ، ويتمثل كل ذلك فى أن يمكن لفلول قريش المنجمعة من أن تنفذ فى جيوش المسلمين من الثغرة التى كشفها الرماة فى المؤخرة ، وأن تنال قريش الباغية المشركة منهم وتثخن فيهم

ويرى النبي صلى الله عليه وسلم هجمة الأعداء المفاجئة من الخلف ، فيدرك سريعا خطيئة الرماة ويعرف من أين أتى الشر ، وكيف انهارت الخطة الحكيمة التى وضعها وأمر بها . ويرتاع المسلمون ويأخذهم الروع والجزع ويظنون أن جيوشا أخرى جديدة المشركين قد أخذتهم من خلف فيضعفون ويضطربون ويدب الفزع بينهم ، فيفر منهم من يفر ، ويتخاذل منهم من يتخاذل ، والنبي العظيم يستنفرهم ويثبتهم ويمدهم النصر ، وينادى فيهم أن اثبتوا وكافحوا ، ولا يدع سبيلا لحفزهم ودفعهم للصمود والجلاء دون أن يسلكها ! .

ويكثر عدد القتلى والجرحى من المسلمين ويسقط فيهم أعلام من فرسانهم الصناديد ويشاء الله إلا أن تبلغ المحنة والعبرة أعظم مبلغ وأروعه حين يبقى الرسول فى عشرة من صحبه يناضلون معه وهو يرمى بسهمه حتى يصير شظايا .. ويقترب المشركون منه ودونه اثنان سعد بن أبى وقاص ومصعب بن عمير يذودان عنه وأم عمارة المسلمة تقبل فترى ذلك فترمى سقاءها وتنتزع سهم أحد القتلى وتنفح به عن الرسول العظيم .. ويقبل أبو دجانة فأى إقبال هذا ؟ إنه إقبال البطل الذى حارب بسيف الرسول وأدى حقه فقاتل به حتى تقوس ، وحتى امتلأ جسمه بالجراح والطعنات .. ويرى أبو دجانة النبى الكريم فى هذا الموقف العسير ويرى أحد المشركين الأنذال وهو يضرب أم عمارة المرأة المسلمة على عاتقها فيرديها ! .. ويهم أبو دجانة لينافح عن الرسول ، وكيف له ذلك وسيفه قد انحنى وتقوس ، وجسمه قد مزق وجرح ، ولكنه يرى النبى الكريم هدفا لنبل الكافرين الفاجرين ، ولكنه يريد أن يسجل أروع أمثال التضحية والفدائية أعظم تسجيل وأدقه ، فها هو يندفع نحو النبى العظيم وينكفئ عليه حاميا له بجسده متوسلا إليه بقوله : دعنى يارسول الله أترس دونك بنفسى ، لقد ولى الناس عنك وهذا نبل العدو يصل إليك . ويقول له الرسول العظيم مشفقا : إن النبل يقع فى ظهرك . ولكن أبا دجانة المسلم الصادق الإيمان والفدائى الذى باع روحه ونفسه لله لا يحس ألما للرميات الكافرة المجنونة ويستعذبها ويرد على النبى العظيم بآخر ألفاظه : لا بأس . ويظل ظهر أبى دجانة يتلقى النبل حتى يمتلئ ، وحتى لا تبقى فيه نقطة واحدة دون إصابة قاتلة ! ..

ويتأذن الله أن تمر المحنة القاسية والدرس الرادع ، وتنجلى معركة أحد الخالدة وقد نجا النبى العظيم من القتل فسلم للمسلمين بنجاته دينهم ، وعمت بذلك للمؤمنين رسالتهم ، وكمل دينهم ، وبلغ الكتاب أجله بعد العظة الرهيبة العميقة التى كان من أعظم آثارها فدائية هذا الإنسان الفذ أبو دجانة ..

قلت لصاحبى وهو يتحدث كالسيل المنهمر وحديثه يفيض من أعماقه : حسبك ياصديقى فقد والله بلغت بحديثك هذا من نفسى ومن قلبى أعظم وأبلغ وأروع ما يمكن أن يبلغه أكبر الدروس وأخطر العظات ، وما أرى إلا أنك محق فى لومك للقائمين على شؤون التعليم والتثقيف والتجنيد أكبر اللوم لنسيانهم تخليد ذكر هذا البطل الفدائى والمثل الحى الذى يظل حيا مدى الدهور ...

محمد طايع رزق

ديوان الأسمر

للشاعر الكبير الأستاذ محمد الأسمر

أكبر مجموعة شعرية ظهرت فى هذا العصر الحديث

من بعض ما يحتوى عليه هذا الديوان الأبواب الآتية

محمد صلى الله عليه وسلم	ملكيات	قوميات	سياسيات
أناشيد	الحرب العالمية الثانية	شرقيات	سودانيات
فلسطين	إخوانيات	اجتماعيات	نسائيات
شعراء الحانة	وحى الطائف	دعابات	

(- ٧) صفحة على ورق فاخر وطبع أنيق

يطلب هذا الديوان الممتاز من (مكتبة دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه - مصر . القاهرة)

الثمن سبعون قرشاً عدا أجرة البريد

اقصدوا

متحف فؤاد الأول

لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
(أمام مخزن بضائع محطة مصر)

اشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية فى مختلف الأزمان واثروا أكبر وأدق مجموعـــة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل فى مصر والخارج

المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الاثنين والعطلات الرسمية كما يأتى : —

فصل الشتاء — من أول نوفمبر إلى آخر أبريل
من الساعة ٨ ٣٠ إلى الساعة ٤ ٠٠

رسم الدخول ٢٠ مليماً

تليفون رقم ٤٩٣ مدينة

مطبعة الرسالة